

أضواء البيان

@ 315 { إِنْ زَلَّ جَعَلْنَا نَهَاةً لِّلظَّالِمِينَ * إِنْ زَلَّهَا شَجَرَةٌ }
تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ } . قد قدّمنا إيضاحه في سورة (بني إسرائيل) ، في
الكلام على قوله تعالى : { وَ مَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَىٰ نَكَاحًا إِلَّا -
فِتْنَةً لِّلَّذِينَ سَوَّاهَا وَالشَّجَرَةَ الَّتِي كَانُوا يُكْفَرُونَ بِهَا فِي الِغُرَبَاءِ } . { فَإِنْ زَلَّهَا
لَا كَلْبُؤُنَ مِنْهَا فَمَالِئُونُ مِنْهَا لْيَبْطُؤُنَ * ثُمَّ إِنْ زَلَّ لَهَا عَلاَئِيهَا
لَشَوْبَابًا مِّنَ الْجَحِيمِ } . ما ذكره جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة من أن الكفار في
النار يأكلون من شجرة الزقوم ، فيملؤون منها بطونهم ، ويجمعون معها : { لَشَوْبَابًا مِّنَ
الْجَحِيمِ } ، أي : خلطًا من الماء البالغ غاية الحرارة ، جاء موضحًا في غير هذا الموضع
؛ كقوله تعالى في (الواقعة) : { ثُمَّ إِنْ زَلَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ
الْمُكْذِبُونَ * لَا كَلْبُؤُنَ مِنَ الشَّجَرِ مِّنْ زَقُومٍ * فَمَالِئُونُ مِنْهَا
لْيَبْطُؤُنَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَحِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ } .
وقوله : { شُرْبَ الْهَيْمِ } ، الهيم : جمع أهيم وهيماء وهي الناقة مثلاً التي أصابها
الهيام ، وهو شدّة العطش بحيث لا يرونها كثرة شراب الماء فهي تشرب كثيرًا من الماء ،
ولا تزال مع ذلك في شدّة العطش . ومنه قول غيلان ذي الرمة : فَإِنْ زَلَّهَا لَشَوْبَابًا
مِنْهَا فَمَالِئُونُ مِنْهَا لْيَبْطُؤُنَ * ثُمَّ إِنْ زَلَّ لَهَا عَلاَئِيهَا لَشَوْبَابًا
مِّنَ الْجَحِيمِ } . ما ذكره جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة من أن الكفار في النار يأكلون
من شجرة الزقوم ، فيملؤون منها بطونهم ، ويجمعون معها : { لَشَوْبَابًا مِّنَ
الْجَحِيمِ } ، أي : خلطًا من الماء البالغ غاية الحرارة ، جاء موضحًا في غير هذا الموضع ؛ كقوله
تعالى في (الواقعة) : { ثُمَّ إِنْ زَلَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ *
لَا كَلْبُؤُنَ مِنَ الشَّجَرِ مِّنْ زَقُومٍ * فَمَالِئُونُ مِنْهَا لْيَبْطُؤُنَ فَشَارِبُونَ
عَلَيْهِ مِنَ الْجَحِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ } . وقوله : { شُرْبَ
الْهَيْمِ } ، الهيم : جمع أهيم وهيماء وهي الناقة مثلاً التي أصابها الهيام ، وهو شدّة
العطش بحيث لا يرونها كثرة شراب الماء فهي تشرب كثيرًا من الماء ، ولا تزال مع ذلك في
شدّة العطش . ومنه قول غيلان ذي الرمة : (فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد % صداها ولا
يقضى عليها هيامها) % .

وقوله تعالى في (الواقعة) : { فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَحِيمِ *
فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ } ، يدلّ على أن الشوب ، أي : الخلط من الحميم المخلوط

لهم بشجرة الزقوم المذكور هنا في (الصافات) ، أنه شوب كثير من الحميم لا قليل . .
وقال أبو عبد اللّاه القرطبي في تفسير هذه الآية : { لَشَوْوًبًا مِّنْ حَمِيمٍ } ،
الشوب : الخلط ، والشوب والشوب لغتان ، كالفقر والفقر ، والفتح أشهر . قال الفراء :
شاب طعامه وشرابه إذا خلطهما بشيء يشوبهما شوبًا وشيابة ، انتهى منه . { إِزَّهْمُ
أَلْفَوْوًا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهْمٌ ءَلَاءِثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ } . ما
دلّت عليه هذه الآية الكريمة من أن الكفار الذين أرسل إليهم نبيّنا صلى الله عليه وسلم :
{ إِزَّهْمُ أَلْفَوْوًا ءَابَاءَهُمْ } ، أي : وجدوهم على الكفر ، وعبادة الأوثان ،
فَهْمٌ ءَلَاءِثَارِهِمْ